# الترجيحات في البحر المديد لإبن عجيبة المغربي في سورة الجن - جمعاً ودراسة -

**Preferences in the long sea of Ibn Ajiba Al-Maghribi in Surat Al-Jinn, Collection and Study**


الباحثة

**بيداء حسون حمد**

بإشراف

**أ.م.د.رائد عبد دراج**

الجامعة العراقية - كلية العلوم الإسلامية - قسم التفسير

Researcher

Baidaa Hasoun Hamad

**Asst. Prof. Dr.Raed Abd Draj**

University of Iraq - College of Islamic Sciences

Department of Interpretation

## الملخص

لما كانت سورة الجن مضمار واسع لإظهار صنوف الترجيح في التفسير، وكانت مناجم حافلة بالدرر التأويلية والمباحث الفكرية، أثرتُ أن يكون ميدان الدراسة في الترجيحات لإبن عجيبة، دراسة تحيط بتحقيق الألفاظ، وتعنى بفهم المناهج، وتكشف عن أسرار التباين والتوافق بأناة الباحث، ومنهج المقارن، وقلب المتعبد لكتاب ربه. وقد التزمت في هذا البحث أن أجمع بين إخلاص المقصد لله، وتحري الإنصاف في المقارنة، واستجلاء دقائق العلم، مؤمنا بأن التفسير باب من أبواب القربى قبل أن يكون ميدانا للدرس والبيان.

**Summary:**

Since Surat Al-Jinn is a broad field for demonstrating the types of preference in interpretation and is a mine full of interpretive pearls and intellectual discussions, I preferred that the field of study be in Ibn Ajiba's preferences, a study that encompasses the verification of words and is concerned with understanding the methods, and reveals the secrets of contrast and agreement with the patience of the researcher, the method of the comparator, and the heart of the worshipper of the Book of his Lord. In this research, I have committed myself to combining sincerity of purpose to God, seeking fairness in comparison, and clarifying the details of knowledge, believing that interpretation is a door to closeness before it is a field for study and explanation.

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الذي أنزل القرآن شفاءً ورحمةً للعالمين، وهدايةً للمتدبرين، ورحمةً للموحدين،والصلاة والسلام على المبعوث بالحق هاديا ونذيرا، وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن الله تعالى قد أختص هذا الكتاب العزيز بخصيصة البيان وإعجازه، ورفعه وفهمه، فجعل علم التفسير أشرف منزلة، وأعظمها أثرًا، وأكرمها ثمرة؛ إذ به ينكشف للقلوب سر الخطاب الإلهي، وتتجلى للعيان أنوار الفهم الرباني، ويُسافر للأنظار مجالي الهداية والرشد.

وفي طليعة أولئك المصطفين الأخيار، تألق الإمام إبن عجيبة الحسيني ذلك الجهيد الذي علم التفسير على أسس الرواية المحكمة، والدراية المتقنة،فكان تفسيره البحر المديد في تفسير القرآن المجيد في هذا الفن، وأُسَّه الذي عليه المعول والمعتمد، ينضح علمًا، ويضح حكمة، ويطع تحقيقًا وتمحيضا.

**خطة البحث .**

تكونت خطة البحث من أربعة مطالب فالمطلب الأول كان بتعريف موجز عن ابن عجيبة ثم في المطلب الثاني عن كتابة البحر المديد ثم في المطلب الثالث تعريف الترجيح وفي المطلب الرابع المسائل التي رجحها ابن عجيبة في كتابة من سورة الجن .

سائلةً المولى أن يصبح عملاً مقبولًا، وسعيًا مشكورًا، وذخرًا ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

### المطلب الأول : حياة ابن عجيبة

يعد ابن عجيبة من العلماء البارزين و المشهورين في المغرب العربي خاصة، والعالم الإسلامي عامة حيث ذاع صيته في الأوساط الصوفية في الآفاق إماماً صوفياً وشيخاً للطريقة الشاذلية [١].

(١) الشاذلية، طريقة صوفية تعود أصولها إلى مؤسسها أبو الحسن الشاذلي وتتلخص تعاليم الطريقة في اصول خمسة هي: تقوى الله سراً وعلناً - اتباع السنة قولاً وعملاً - الإعراض عن الخلق إقبالاً وإدباراً - الرضى عن الله في القليل والكثير - الرجوع إلى الله تعالى في السراء والضراء ينظر: كشف الأسرار لتنوير الأبصار،مصطفى بن محي الدين نجا الشاذلي، ج

أولاً: اسمه: هو أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عبد الله ابن عجيبة ابن سحنون بن إبراهيم بن أحمد بن موسى بن عبد الله بن محمد بن موسى: إدريس الأصغر بن «إدريس الأكبر». (١).

ثانياً :كنيته : أبي العباس الانجري(٢).

ثالثاً: لقبه : ابن عجيبة (٣).

رابعاً:نسبه: الحسيني نسباً (٤)،التطواني داراً (٥)، الفاسي تعليماً (٦).

---

١٣، ص ٥٨.

(١) فهرسه ابن عجيبه : ص ١٦٠.

(٢) الانجري: نسبتاً لقبيله انجره حيث ولد فيها في قرية اجعبيش الواقعة بين طنجة وتطوان. ينظر :الأعلام ،لزركلي ،ج ١،ص ٢٤٥.

(٣) وهو لقبه الذي اشتهر به، وسبب تسميته ابن عجيبة راجع إلى أحد أجداده الذي كان اسمه عبد الله بن عجيبة (لم اقف على ترجمه له )، وكان من الأولياء الصالحين ينظر:(شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد ابن محمد ابن سالم مخلوف، ج١،ص٥٧٢.ويرى الدكتور عبد المنعم الحنفي: وهو كاتب وأكاديمي مصري.موقع ويكيبيديا(أن إسمه ابن عجيبة كان تعبيراً من أهل زمنه عن سعة إطلاعه، وتمكنه من ثقافته ومقدرته على شرح آراء غيره، واستيعابها، ويقصد بذلك تيسير التحصيل على المريدين وتثقيفهم بخير ما في الكتب الأمهات للتصوف، تربية للأجيال) الموسوعه الصوفيه ص ٤٠٤.

(٤) النسب الحسيني : وهو النسب المنتمي إلى آل بيت النبي محمد، فهم ينحدرون من نسب الحسين بن علي (رضي الله عنهما).

(٥) تطوان أو تيطاوين أو تطاون هي مدينة مغربية، يطلق عليها لقب الحمامة البيضاء. أحيائها القديمة أندلسية الطابع، تقع في منطقة الريف الكبير وفي منطقة فلاحية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بين مرتفعات جبل درسة وسلسلة جبال الريف ينظر: معجم البلدان ياقوت الحموي، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت ٦٢٦هـ)، دار الفكر، ج ٤، ص ٤٣.

(٦) فاس: هي ثالث أكبر مدن المملكة المغربية، بعد الدار البيضاء والرباط، تعد فاس مدينة تاريخية عريقة، وهي أول عاصمة سياسية للمغرب، يعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري عندما قام بتأسيسها إدريس بن عبد الله، مؤسس دولة الأدارسة عام (١٧٢هـ)، وكانت عاصمة المملكة المغربية حتى عام (١٩١٢م)، مدة الاحتلال الفرنسي، والتي استمرت حتى (١٩٥٦م)، وتم فيها تحويل العاصمة إلى مدينة الرباط ينظر: معجم البلدان شهاب الدين، ج ٤، ص ٢٣٠.

خامساً: عقيدتة ومذهبه: اشعري[١] العقيدة, مالكي المذهب[٢]، شاذلي الطريقة . [٣]

سادساً: ولادته: ولد سنة (١١٦٠هـ - ١٧٤٧م) وقد أرخ مولده بحادث حصار (المستضئ إبن إسماعيل)[٤] لتطوان .

هو من قرية (أعجبيش) من قبيلة (أنجرة) التي تسكن الجبال المحيطه بمدينة تطوان»، حيث ولد من أسرة حسينية الشرف أبواه «كلاهما ينسب إلى بيت النبوة ونسبه يتصل بالولي الصالح العالم القطب[٥] ذي الكرامات العديدة»، والمأثر الحميدة سيدي الحسين الحجوجي[٦].

وأمه هي رحمة بنت سيدي محمد، حيث كانت متعبدة، ناسكة شديدة الخوف من الله [٧].

ماتت في حدود العشرة الأولى من القرن الثاني عشر وقبرها بفناء مسجد الخميس قريبا من ضريح ابن عجيبة، و أما في ما يتعلق بأسرته، فقد ذكر ابن عجيبة في فهرسته، أنه تزوج ثلاث نسوة :

---

(١) العقيدة الأشْعَرية أوعقيدة الأشاعِرةِ: هو فِرْقةٌ تُنسَبُ إلى الشَّيْخِ أبي الحَسَنِ الأشْعَريِّ البَصْريِّ المُتَوفَّى في بَغْدادَ سَنَةَ (٣٢٤هـ)، ظَهَرَ في القَرْنِ الرَّابِعِ الهِجْريِّ. ينظر: منهج الأشاعرة في العقيدة – الكبير، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ،ص٢١٢.

(٢) المذهب المالكي:وهو مذهب تنسب تسميته للامام مالك بن انس (رضي الله عنه) الذي عاش ما بين عامي ٩٣-١٧٩هـ، ويعتمد في مذهبه . إضافة إلى الأصول المتفق عليها بين جميع الأئمة من الكتاب والسنة والقياس وإجماع الصحابة . يعتمد على عمل أهل المدينة والاستصلاح. ينظر: التعريف ببعض علوم الإسلام الحنيف الشيخ:عبد الله نجيب سالم ،ج١،ص٤٥.

(٣) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية محمد ابن محمد ابن سالم مخلوف،ج١،ص٥٧١.

(٤) المستضيء بنور الله ابن إسماعيل بن محمد الشريف الحسني(ت ١١٧٣هـ) كان مقيما بتافيلالت، وخلع العبيد أخاه ابن عربية سنة ١١٥١هـ، وكتبوا إليه فجاء إلى مكناسة وبايعوه، واستقر بفاس، فكانت سيرته أفظع من سيرة سلفه،. وهو أول من ضرب سكة النحاس الأحمر مموهة بالفضة. ولم تنقطع الحروب بينه وبين أخيه السلطان عبد الله. أقام بسجلماسة، معرضًا عن طلب الملك، متناسيا عهده فيه، إلى أن توفي. ينظر: ترجمته في البستان الظريف في دولة أولاد مولاي الشريف أبو القاسم ,ص ٢٨١-٢٩٤.

(٥) القطب : اوقد يسمى غوثاً باعتبار التجاء الملهوف اليه، وعند الصوفيه أعطاه الله الطلسم الأعظم من لدنه... ينظر: التعرفيات ،الجرجاني، ص١٧٧.

(٦) وترجمته ان الناس اطلقوا عليه هذا القلب لانه كان يحج ويجيء فشتهر بالحجوجي وسبب سريان هذا اللقب على الجد المذكور أنه كان من أهل الخطوة حيث كان كل سنة يذهب مع الحجاج للحج والوقوف بعرفة على سبيل الطي وخرق العادة.ينظر فهرسة ابن عجيبه ,ص١٦.

(٧) . فهرسة ابن عجيبة ,ص١٩.

الأولى: رحمة بنت أحمد بن أحمد الجعيدي.

الثانية: فاطمة بنت الحسين بن عجيبة .

الثالثة: منانة بنت عبد الهادي.

وجملة ما ازداد عنده من الأولاد : واحد وثلاثون، تسعة منهم أحياء، وذكر ابن عجيبة في فهرسته أن تاريخ كتابته لعدد أولاده مؤخر عن تاريخ تبييضه له؛ لأن عنده ثلاثة نسوة كلهن صغيرات في السن فهن أصغر من أن يحملن. (١)

**نشأته وطلبه للعلم:**

لقد نشأ ابن عجيبة في عائلة محبة لله عاملة في أوامره متبعة لطريق الهدى ،حيث كان يقول الشيخ: كانت أمي تقول في مدة حملها بي، (اللهم ارزقني الذرية الصالحة) تقول ذلك بعد كل وقت صلاة، كذلك إذا جاء وقت الصلاة كنت أصبح على أمي حتى نصلي سوياً، وكنت وأنا صبي نتوضأ لكل صلاة ونبل ثيابي. فقالت لي الأم خوفا من عفن الثياب: تيمم وصل فعلمتني التيمم فصليت بالتيمم أياماً ظننت أن ذلك يصح مع وجود الماء، ثم ردتني إلى الوضوء (٢)، حبب لابن عجيبة الخلوة والوحدة، فكان لا يلعب مع الصبيان، ولا يلتفت إلى ما هم فيه ... وقد ألقى الله في قلبه حب العلم، في صباه، وقد قرأ المقدمة القرطبية (٣)، وقيل: ختم القرآن، وتحدث عن نفسه في فهرسته أنه تمتع بقريحة وقادة لا يعطل شيئاً من الأيام فإذا كان يوم الخميس اشتغل بالكتابة أو قراءة المتون، وكذلك في أيام العطل، لا يخليها من قراءة القرآن، والاطلاع على علومٍ عدة، منها النحو والصرف والفقه والقراءات ... فشبابه كان لله، نشأ في عبادة ربه، وطاعته، وطلب العلم.

(١) فهرسة ابن عجيبة ،ص٧٧-٧٨.

(٢) ينظر :فهرسة ابن عجيبة ,ص ١٩.

(٣) المقدمة القرطبية: أو أرجوزة الولدان في الفرض والمستون الشيخ العلامة الفقيه، أبو بكر، يحيى بن سعدون القرطبي، (ت ٥٦٧هـ)، يبلغ عدد أبياتها (١١٧) بيت، وهي منظومة بديعة، ضمنها نظاماً أحكام قواعد الإسلام، وما لمس الحاجة إلى معرفته في المسائل الفقهية طبعت بشرح العلامة الزاهد، أحمد زروق البرنسي، ات ٨٩٩ هـ)، تحقيق: الدكتور أحسن زقور، صدرت عن دار التراث الجزائر، دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

**وفاته:**

توفي ابن عجيبة في أواسط القرن الثالث عشر، ومقامه مشهور في المغرب توفي في السابع من شوال سنة (١٢٢٤هـ) بمرض «الطاعون»، حيث دفن في «تطوان» (رحمه الله)(١).

قد ذكرت مصادر عن قصة وفاته أن الشيخ قد توجه إلى زيارة شيخه البوزيدي في قبيلة بني سلمان (بغمارة)، فأصابه وباء الطاعون فيها فتوفي في دار شيخه، متأثراً بهذا الوباء، فغسله شيخه، وصلى عليه، ودفن بغمارة ثم نقل إلى تطوان (٢).

## المطلب الثاني : تعريف بالكتاب وبواعث تأليفه

### اولاً: التعريف بلكتاب

(البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، من تأليف: أبي العباس أحمد بن محمد بن المهدي المعروف بابن عجيبة الحسني، المتوفي سنة (١٢٢٤ هـ )(٣).قال ابن عجيبة: (فسرت كتاب الله العزيز من أوله إلى أخره في اربعة مجلدات كبيرة، جمعت فيه بين اصل الظاهر وإشارة اصل الباطن سميته البحر المديد في تفسير القرآن المجيد) . (٤)وهذا يدل أن ابن عجيبة كان شغوفا بالقرآن المجيد فستخدمه الله لذلك حتى جعل وقته لله وشغله عن كل مغريات الدنيا فقام على صعيد واحد في تفسير القرآن الكريم.

ويعد تفسير البحر المديد أكبر و أهم ما ألف و يدل هذا على إنه أفضل ما تحقق فيه نتائج الأفكار وعميق الفهوم، ولكن لا يتقدم لهذا الخطر الكبير، إلا العالم المتمكن، الذي رسخت إقدامه في العلوم ظاهرة، وجالت أفكاره في معاني القران الباهرة، ويكون قد أخذ من أقوال الرجال، ثم خاض في لوم النصوص حالاً و ذوقاً وتصافاً بصحبته أهل الأذواق أهل الكمال وقال أعلم أنَّ القرآن عظيم، له ظاهر الأصل الظاهر وباطن الأصل الباطن، وتفسير أهل الباطن لا يذوقه إلا أصل باطن (٥).

---

(١) ينظر: الأعلام لزركلي ،ج١,ص٥٤٢.

(٢) ينظر : مقدمة محقق البحر المديد ج١,ص١٤.

(٣) معجم المفسرين,عادل نويهض، ج١,ص٧٧.

(٤) فهرسة ابن عجيبة، ص ٣٨-٣٩.

(٥) تاريخ تطوان: ج ٦، ص ٢١٩.

**ثانياً: بواعث تأليفه**

لقد بدأ بتأليف تفسيره بعد أن أكمل دراسته للعلوم الشرعية، وامتلكها بشكل كامل، والتي تعتبر أساسية للمشتغلين في مجال التفسير، و أبرز ابن عجيبة الدافع الذي دفعه لتدوين هذا العمل بعد أن حصل على الإذن[١]، مستندًا إلى ما هو متداول بين القوم، من أنهم لا يتوجهون إلى أي أمر إلا بعد أن يتلقوا الإذن بشأنه. وفي مقدمته، يشير إلى ذلك بوضوح بقوله : «.. فإن علم تفسير القرآن من أجل العلوم، وأفضل ما ينفق فيه نتائج الأفكار وقرائح الفهوم ولكن لا يتقدم لهذا الخطر الكبير إلا العالم النحرير[٢] الذي رسخت أقدامه في العلوم الظاهرة عربية وتصريفا ولغة وبيانا وفقها وحديثا وتاريخا يكون أخذ ذلك من أفواه الرجال ثم غاص في علوم التصوف ذوقاً وحالاً ومقالاً، بصحبة أهل الأذواق من أهل الكمال، وإلا فسكوته عن هذا الأمر العظيم أسلم، واشتغاله بما يقدر عليه من علم الشريعة الظاهرة أتم، ... «[٣].

وقد ذكر ابن عجيبة في مقدمة تفسيره سبب تأليف التفسير، بقوله: «وقد ندبني شيخي العارف الرباني سيدي محمد البوزيدي الحسني، وكذلك شيخه القطب الجامع شيخ المشايخ مولاي العربي الدرقاوي الحسني، أن أضع تفسيراً يكون جامعاً بين تفسير أهل الظاهر وإشارة أهل الباطن، فأجبت سؤالهم، وأسعفت طلبتهم، رجاء أن يعم به الانتفاع، ويكون ممتعاً للقلوب والأسماع»[٤].

من هذا يتبين أنه جمع في تفسيره بين تفسير القرآن الكريم وبين التفسير الإشاري[٥]، كما يظهر مدى ثقة شيوخه به، ومعرفتهم بقدرته على النهوض بهذا الجهد الكبير.

وبين تأريخ فراغه من التفسير فقال : «وكان الفراغ من تبييضه زوال يوم الأحد، سادس ربيع النبوي، عام واحد وعشرين ومائتين وألف، على يد جامعه، العبد الضعيف، الفقير إلى مولاه، أحمد بن محمد بن عجيبة الحَسَنِي، لطف الله به في الدارين. آمين»[٦].

---

(١) المقصود بلأذن : ذلك ان الصوفيه يأخذون الاذن روحانياً أي بشكل رؤيا في المنام او انشراح الصدر للأمر او وصولهم لمستوى معين من النضج الروحي او بأستشارة التلميذ لشيخه (المرشد).

(٢) النحرير: العالم الحاذق في علمه وجمعه النحارير. ينظر: لسان العرب، ابن: مادة (نحر)ج ٥,ص١٩٧.

(٣) البحر المديد: ج ١,ص٤٩.

(٤) البحر المديد: ج١,ص٥٠.

(٥) التفسير الفيضي أو الإشاري: هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات حقية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن التطبيق بينها وبين الظاهر المرادة . ينظر : ينظر التفسير والمفسرون للذهبي ج٢,ص٢٦١.

(٦) البحر المديد ،ج٧,ص٣٧٩.

**المطلب الثالث: تعريف الترجيح**

الترجيح في اللغة: الترجيح مصدر من باب رجح يرجح ترجيحاً إذا زاد وزنه، وتدور مادة (رجح) حول الميلان، والثقل، والميلان من الثقل. نقول: رجح الميزان: أعطاه راجحاً، وترجحت به الأرجوحة: مالت، ويتعدى بالألف وبالتثقيل فيقال: أرجحت الشيء ورجحته ترجيحا أي فضلته وقويته. وأرجحت الرجل أي أعطيته راجحا، « ورَجَحَ الشيءَ بيده: وَزَنه ونَظر ما ثِقْلُه، وأَرْجَحَ الميزانَ: أَي أَثقله حتى مال « [١] .

ورجحت الشيء بالتثقيل فضلته وقويته [٢].

قال السرخسي[٣] " تفسير الترجيح لغة إظهار فضل في أحد جانبي المعادلة وصفا لا أصلا فيكون عبارة عن مماثلة يتحقق بها التعارض ثم يظهر في أحد الجانبين زيادة على وجه لا تقوم تلك الزيادة بنفسها فيما تحصل به المعارضة أو تثبت به المماثلة بين الشيئين" [٤].

وفي اصطلاح الأصوليين: "تقوية إحدى الإمارتين على الأخرى ليعمل بها، أي: بالإمارة التي قويت [٥].

وقيل: "إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر "[٦] .

وقيل: "تقوية أحد الدليلين بوجه معتبر، وعبر بعضهم بزيادة وضوح في أحد الدليلين"[٧].

أما الترجيح عند المفسرين فهو : "تقوية أحد الطريقين على الآخر ليعلم الأقوى فيعمل به ويطرح الآخر." [٨].

وقيل: تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل يدل على قوته، أو قاعدة تقوية، أو لتضعيف، أو رد ما سواه من الأقوال[٩] .

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة رجح، ج٢,ص ٤٤٥.

(٢) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أبو العباس ،ج ١ ,ص٢١٩.

(٣) محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الحنفي، فقيه أصولي مجتهد حنفي متكلم مناظر، توفي في حدود سنة ٤٩٠هـ. ينظر : الأعلام للزركلي، ج٥,ص٣١٥ .

(٤) أصول السرخسي، للسرخسي ،ج٢,ص٢٤٩.

(٥) الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين السبكي وولده تاج الدين، ج٣,ص٢٠٨.

(٦) كتاب التعريفات للجرجاني، ص ٥٦ .

(٧) التوقيف على مهمات التعاريف زين الدين محمد بن تاج العارفين، ج١,ص٩٥.

(٨) المحصول، فخر الدين الرازي ،ج٥,ص٣٩٥.

(٩) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين ،الحربي، ج١,ص٣٥.

تعريف قواعد الترجيح:

قواعد الترجيح مركب إضافي يتكون من جزأين، وقد بينا تعريفه الترجيح فيما سبق ذكره بقي بيان مفهوم القاعدة الجمع بينهما في تعريف واحد .

أولاً: القاعدة في اللغة:

هي الأساس، قال ابن الفارس [١]: "قواعد البيت أساسه، وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضات في أسفله "[٢].

وقال ابن منظور: "القاعدة: أصل الأساس، والقواعد :الأساس، وقواعد البيت أساسه [٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [البَقَرَة:١٢٤].

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [النَّحل:٢٦].

"واستعملت القاعدة مجازاً في الأمور المعنوية فيقال: بنى أمره على قاعدة وقواعد، وقاعدة أمرك واهية... وتطلق القاعدة بمعنى الأمر الضابط والأمر الكلي الذي ينطبق على جزئيات "[٤]، فإن المعنى اللغوي وبوجه عام لهذه المادة هو الاستقرار والثبات، وإذا أمعنا النظر في هذه المعاني المتعددة، وجدناها تؤول كلها إلى معنى واحد يجمعها وهو الأساس، فقواعد كل شيء: أسسه وأصوله التي ينبني عليها، سواء كان ذلك الشيء حسياً كما في الأمثلة السابقة، أو معنوياً كما نقول مثلاً: قواعد الإسلام وقواعد العلم وغير ذلك [٥].

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي القزويني، كان نحوياً على طريقة الكوفيين، صنف: المجمل في اللغة، وفقه اللغة ومقدمة في النحو، واختلاف النحويين وغيرها، توفي سنة ٣٩٥هـ بالري. ينظر : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة, جلال الدين السيوطي ،ج١,ص٣٥٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس مادة قعد،ج٥,ص١٠٩.

(٣) لسان العرب لابن منظور، ج٣,ص٣٦١.

(٤) التحرير والتنوير، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور، ص ١٠٥.

(٥) ينظر: نظرية التقعيد الفقهي وأثرها في اختلاف الفقهاء، محمد، ص ٣٨.

ثانياً: القاعدة في الاصطلاح: "هي قضية كلية منطبقة على جميع جزئياتها "[١].

وقيل: "هي حكم كلي يتعرف به على أحكام جزئياته"[٢].

ثالثاً: تعريف المركب الإضافي "قواعد الترجيح":

تعريف قواعد الترجيح كاسم مركب لم يتعرض له أحد من المتقدمين، وعرّفه من المتأخرين الدكتور حسين الحربي [٣]وأحسن في تحديد معالمه إذ يقول: "هي ضوابط وأمور أغلبية يتوصل بها إلى معرفة الراجح من الأقوال المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى "[٤],[٥].

حدود التعريف: (ضوابط وأمور): بإعتبار عدم التفريق بين القاعدة والضابط عند بعض، العلماء -وقد فرّق آخرون[٦] – ( يتوصل بها إلى معرفة الراجح: خرّج به القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام وغيرها ؛لأن الترجيح لا استنباط فيه من الآية، وإنما هو نظر في الأقوال المستنبطة منها، والترجيح بينها (من الأقوال المختلفة): خرج به ما كان موضع وفاق بين العلماء كالإجماع، لأنه لا مجال للترجيح فيه في( تفسير كتاب الله) خرج به الترجيح في غيره من العلوم، كالفقه والنحو وغيرها [٧].

قواعد الترجيح موضوعها وغايتها واستمدادها [٨] :

موضوعها: أقوال المفسرين المختلفة في تفسير كتاب الله تعالى.

غايتها:

١. (معرفة أصح الأقوال وأولاها بالقبول في تفسير كتاب الله تعالى، ومن ثم العمل بها اعتقاداً إن كانت من آيات العقيدة، وعملاً بالجوارح إن كانت من آيات الأحكام العملية، وسلوكاً وأدباً إن كانت من الأخلاق والآداب.

(١) كتاب التعريفات الجرجاني، ص ١٧١.

(٢) مختصر في قواعد التفسير خالد بن عثمان السبت، ص٢٣.

(٣) أ.د حسين الحربي: هو أستاذ القران الكريم وعلومه في كلية الشريعه والقانون بجامعة جازان في السعودية .

(٤) قواعد الترجيح عند المفسرين، للحربي، ج١,ص٣٩ .

(٥) ينظر:التحرير والتنوير، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور، ص١٠٩.

(٦) ينظر: الأشباه والنظائر، تاج الدين السبكي ،ص ١٣٧.

(٧) ينظر : قواعد الترجيح عند المفسرين للحربي، ج١,ص٣٩.

(٨) ينظر : المصدر نفسة ،ج١,ص٤٠.

٢. (تصفية وتنقية كتب التفسير مما قد علق ببعضها، من أقوال شاذة أو ضعيفة، أو مدسوسة في المذهب عقدي، ونحو ذلك)[١].

استمدادها[٢]:

١. أصول الدين.

٢. علوم القرآن.

٣. علوم الحديث.

٤. لغة العرب.

٥. أصول الفقه.

٦. القواعد الفقهية.

٧. استقراء ترجيحات أئمة التفسير.

أنواع قواعد الترجيح:

أنواع قواعد الترجيح[٣] .

تنقسم قواعد الترجيح إلى أقسام عدة:

١. قواعد ترجيحية متعلقة بالنص القرآني.

٢. قواعد ترجيحية متعلقة بالسنة والأثر.

٣. قواعد ترجيحية متعلقة باللغة.

ويندرج تحت كل نوع من هذه الأنواع الرئيسة قواعد ترجيحية كثيرة:

أولاً: قواعد الترجيح المتعلقة بالنص القرآني.

ويندرج تحت هذه القواعد ما يأتي:

١. القواعد الترجيحية المتعلقة بالنسخ.

٢. القواعد الترجيحية المتعلقة بالقراءات.

٣. الترجيح برسم المصحف.

٤. الترجيح بالحقيقة والمجاز.

٥. الترجيح بالسياق القرآني.

---

(١) القواعد التفسيرية ،للحربي، ج١,ص٤٠.

(٢) المصدر نفسه، ج١,ص٤٠.

(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، للحربي، ج١,ص٧٠-١٧٢.

٦. الترجيح بالمعاني الشرعية.
٧. الترجيح بالأغلب من طريقة القرآن وعاداته.
٨. الترجيح بظاهر القرآن.

ثانياً : قواعد الترجيح المتعلقة بالسنة والأثر [١]:

ويندرج تحت هذه القاعدة، ما يأتي:
١. الترجيح بدلالة الحديث النبوي الشريف.
٢. الترجيح بتفسير وقول الصحابي.
٣. الترجيح بالإجماع.

ثالثاً : قواعد الترجيح المتعلقة باللغة، ومنها[٢].

ويندرج تحت هذه القاعدة ما يأتي:
١. الترجيح بالأغلب من لغة العرب.
٢. الترجيح بالعموم في القرآن.
٣. الترجيح بالتأسيس والتأكيد.
٤. الترجيح بعودة الضمير إلى أقرب مذكور .
٥. الترجيح بالتقدير وعدمه.
٦. الترجيح بناء على التصريف.
٧. الترجيح بناء على الناحية البلاغية..

رابعاً:الأسباب الموجبة للترجيح

"إن طلب أصح الأوجه في تفسير كلام الله تعالى، من أهم المقاصد لمعرفة مراد الله تعالى لذلك مما ينبغي العلم به العلم بالتفسير الذي اتفق عليه العلماء" [٣] لما يترتب على ذلك من صحة فهم المراد من كلام الله تعالى، فتفسير الآية بما هو راجح أمر لازم حتماً؛ لأنه أقرب إلى الصحة، ولا يسع أحداً أن يعدل عن تفسير الآية من الراجح إلى المرجوح؛ لأنه أبعد عن الصواب، قال الطبري [٤]: "وكتاب الله عز وجل لا تؤخذ معانيه، وما فيه من البيان إلى الشواذ من الكلام

(١) المصدر نفسه، ج ١,ص ١٨٧-٣٢٨.
(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين، للحربي ،ج ٢,ص ٣٤٦-٦٤٥.
(٣) قواعد الترجيح عند المفسرين، للحربي، ج١,ص٤١.
(٤) محمد بن جرير بن يزيد الطبري، الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، أحد الأئمة، جمع من العلوم ما لم

والمعاني، وله في الفصيح من المنطق والظاهر من المعاني المفهوم وجه صحيح موجود"[١].

كما قرر أصل المسألة علماء الأصول بتقريرهم وجوب العمل بالراجح، وحكوا إجماع الصحابة ﷺجدا؛ لأن الاختلاف كان قليلاً جداً بينهم وسبب ذلك وجود الرسول ﷺ بينهم، وكذلك سعة علم الصحابة الشرعي، ومعرفتهم للغة العربية، وأساليبها ومعانيها، وتأثير العصر عليهم [٢].

والتفسير المنقول إلينا إما أن يكون مجمعاً عليه أو لا [٣]، فإن كان مجمعاً عليه، فلا حاجة إلى الترجيح، والاجماعات في التفسير كثيرة، كما قال ابن قدامة [٤] في ترتيب الأدلة ومعرفة الترجيح: "يجب على المجتهد في كل مسألة أن ينظر أول شيء إلى الإجماع فإن وجده لم يحتج إلى النظر في سواء" [٥]، ومثاله: الإجماع على تفسير اليقين في قوله تعالى ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحِجر:٩٩]، بأنه الموت، كما قال احد العلماء [٦]: "واليقين هاهنا: هو الموت بإجماع أهل التفسير "[٧]، وأما إذا كان التفسير مختلفاً فيه، فالاختلاف هنا إما أن يكون اختلاف تضاد، وهذا النوع قليل جداً في تفسير السلف، وإما أن يكون اختلاف تنوع [٨].

الأول: اختلاف التضاد

وهو ما لا يمكن الجمع فيه بين القولين لا بجنس ولا بنوع؛ لأن الضدين لا يجتمعان [٩]، وهذا كالاختلاف في تفسير قوله تعالى: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ٦﴾ [الأنفَال:٦]. فقيل: المجادلون هم المسلمون، وقيل الكفار[١٠]، وعليه فإنه يعمل

---

يشاركه فيها أحد من أهل عصره، توفي سنة ٣١٠هـ. ينظر : طبقات المفسرين، للسيوطي،ص ٩٥.

(١) جامع البيان عن تأويل أي القرآن، الطبري، ج٥،ص٦٧٠.

(٢) التحرير والتنوير، قواعد الترجيح المتعلقة بالنص عند ابن عاشور ،ص ١٢٧.

(٣) ينظر : تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار، ص ٨.

(٤) عبد الله بن أحمد بن قدامة، شيخ الإسلام، صاحب التصانيف، ألف المغني في فقه الحنابلة وهو من أعظم كتبه وله الروضة في الأصول، وغيرها، كان إماماً في الفقه والأصول والفرائض. ينظر : وفيات الأعيان، لابن خلكان ،ج٢،ص١٥٧..

(٥) روضة الناظر وجنة المناظر ابن قدامة المقدسي ،ج٢،ص٣٨٩.

(٦) شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، الإمام الأصولي المفسر الفقيه، أحد كبار العلماء، توفي سنة ٧٥١هـ. ينظر : الوافي بالوفيات الصفدي، ج٢،ص١٩٧.

(٧) تفسير القرآن الكريم أبو عبدِ الله شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ ص ٩٨.

(٨) ينظر: مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس، ص ١١.

(٩) ينظر : شرح (مقدمة التفسير) احمد بن عبد الحليم، ص ٢٩.

(١٠) ينظر: النكت والعيون للماوردي ،ج ٢،ص ٢٩٦.

بقواعد الترجيح في مثل هذا النوع من الاختلاف؛ هو البيان والقول الصواب في الآية[١]،وهو كما قال احد العلماء[٢]: " كان النزاع بين الصحابة في تفسير القرآن قليلاً جداً، وهو وإن كان في التابعين أكثر منه في الصحابة، فهو قليل بالنسبة إلى من بعدهم، وكلما كان العصر أشرف كان الاجتماع والائتلاف والعلم والبيان فيه أكثر"[٣].

الثاني: اختلاف التنوع:

وهو ما يكون اللفظ فيه محتملاً للأمرين أي: يكون اللفظ مشتركاً، فإذا اشتمل النص الشرعي على كلمة مشتركة كان غالباً من الاختلاف في تعيين المراد من هذه الكلمة [٤]، والاختلاف في تفسير لفظة (قروء) في قوله تعالى: ٨﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البَقَرَة:٢٢٨]، فإن هذه اللفظة تحتمل في اللغة العربية أكثر من معنى واحد، فتحتمل أن يراد بها عند الإطلاق الحيض، ويحتمل أن يراد بها الطهر، كما تحتمل إرادة المعنيين معاً [٥]، ولما كان هذا اللفظ الشرعي محتملاً، اختلف الفقهاء في المراد من القرء في هذا المقام على قولين:

القول الأول: إن المراد منه الحيض، وهذا قول أهل الكوفة، وقول عمر بن الخطاب، وعلي ابن أبي طالب ،وابن مسعود، وأبي موسى، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وعكرمة، والسدي ﷺ[٦].

القول الثاني: هي الأطهار، وهو قول عائشةﷺ، وابن عمرﷺ، وزيد بن ثابت.

---

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار ،ص ١٢٦.

(٢) أحمد بن عبد الحليم.

(٣) مقدمة في أصول التفسير، احمد عبد الحليم، ص ١٠.

(٤) مقدمة في أصول التفسير، احمد عبد الحليم، ص ١٧ .

(٥) ينظر: احكام القرآن، للقرطبي، ج٣ ,ص١١٧.

(٦) إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الأعور ويكنى أبا محمد، مولى زينب بنت قيس ابن مخرمة أصله حجازي يعد في الكوفيين إنما سمّي السدي لأنه نزل بالسدة، مات سنة سبع وعشرين ومائة في أيام بني أمية في ولاية مروان بن محمد، ينظر: الجرح والتعديل ،ج٢,ص١٨٤.

والزهري [١]، وأبان بن عثمان [٢]، والشافعي، وهو قول أهل الحجاز [٣]،

ومثاله لفظ (قسورة) في قوله تعالى: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾ [المُدثر:٥١]، الذي يراد به الرامي ويراد به الأسد، ولفظ (عسعس) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧﴾ [التَّكوير:١٧]. الذي يراد به إقبال الليل وإدباره[٤].

وعليه فإنه قد يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، فيظن أن في ذلك اللفظ اختلافاً، فيُحكى أقوالاً عديدة، وهو ليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه؛ لأنه أظهر عند قائله، أو لكونه أليق بحال السائل، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشيء بلازمه ونظيره، والآخر بمقصوده وثمرته، والكل يؤول الى معنى واحد غالباً، والمراد الجميع، فيجب الانتباه لذلك؛ لأنه لا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المراد - والله أعلم [٥].

شروط الترجيح:

وضع العلماء للترجيح شروطاً ينبغي الالتزام بها عند اللجوء إلى الترجيح، ومن أبرز هذه الشروط ما يأتي[٦]:

١. أن يكون الترجيح بين الأدلة، فالدعاوى لا يدخلها الترجيح، فالترجيح بيان اختصاص الدليل بمزيد قوة، فهو ليس بدليل، وإنما هو قوة في الدليل.

٢. قبول أدلة التعارض في الظاهر، فلا مجال له في القطعيات؛ لأنها تفيد علماً يقينياً.

٣. أن يقوم دليل قوي على الترجيح.

٤. أن يكون الترجيح بمزية في الدليل غير مستقلة عنه، وهل يجوز الترجيح بالدليل المستقل؟ فيه خلاف على قولين:

---

(١) محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، أبو بكر المدني، كان إماماً حافظاً فقيهاً، ثقة، لقب بأمير المؤمنين في الحديث. ينظر : تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن ،ج٢٦,ص٤١٩.

(٢) آبان بن عثمان بن عفان الأموي المدني، الإمام الفقيه، الأمير أبو سعد ابن أمير المؤمنين أبي عمرو الأموي، المدني، توفي سنة ١٠٥هـ. ينظر : سير أعلام النبلاء، للذهبي،ج٤,ص٣٥١.

(٣) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية،ج١,ص١٣٠٤.

(٤) ينظر: التفسير والمفسرون الدكتور محمد السيد حسين الذهبي، ج٤ ,ص ٢٠٤.

(٥) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ،ج٢,ص١٥٩-١٦٠.

(٦) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، ج٨,ص١٤٧.

الأول: أنه يجوز كالمزية، بل هو أولى؛ لأن المستقل أقوى من غير المستقل.

الثاني: أنه لا يجوز - وهو قول الأكثر؛ لأن الرجحان وصف للدليل، والمستقل ليس وصفاً للدليل.

٥. مساواة الدليلين المتعارضين في الثبوت والقوة.

٦. ألا يعلم تأخر أحد الدليلين؛ لان المتأخر حينئذ يكون ناسخاً للمتقدم، ولا يصح الترجيح بينهما.

٧. عدم إمكان الجمع بين الدليلين المتعارضين حقيقة أو تقديراً.

**المطلب الرابع : الترجيح في سورة الجن**

سورة الجن[١]

المسألة الأولى : المراد في قولة تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ [الجِن:٩].

ترجيح ابن عجيبة:

«أي: شهاباً راصداً له ولأجله، يصده عن الاستماع.

أو هو اسم جمع الراصد على معنى ذوي شهاب راصدين بالرجم، وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب، ويمنعونهم من الاستماع.

والجمهورعلى أن ذلك لم يكن قبل مبعث نبينا .

وقيل : كان الرجم في الجاهلية، ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأوقات، فمنعوا من الاسترق أصلاً بعد مبعث النبي ﷺ. قلت: وهذا هو الظاهر، وأن الرمي كان موجوداً قبل البعثة، إلا أنه قليل، وأشعار الجاهلية محشوة بذلك وتجد ذلك مدرجاً في كتاب الثعلبي[٢]. وروي في بعض الأخبار: أن إبليس كان يسترق السمع من السماوات، فلما ولد عيسى عليه السلام وبعث حجبت الشياطين عن ثلاث سماوات، فلما ولد محمد ﷺ حجبت عن السماوات كلها،

(١) سوره الجن اياتها ٧٢ سبب التسميه سميت بهذا الاسم لانها ذكر فيها اوصاف الجن واحوالهم وطوائفهم وايضا سوره قل اوحي الي التعريف بالصوره مكيه من المفصل اياتها ٢٨ ترتيبها الثانيه والسبعون نزلت بعد الاعراف بدات بفعل امر قل اوحي اليه في الجزء ٢٩ الحزب ٥٨ الربع ٥.

(٢) الكشف والبيان عن التفسير، للثعلبي، ج٥,ص٣٣٤.

وقذفت بالنجوم، .وذكر أبو جعفر العقيلي[١]، بإسناد له إلى لهب بن مالك [٢]، قال: حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة، فقلت: بأبي أنت وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء، ورصد الشياطين، ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم، وذلك أنا جئنا إلى كاهن لنا، يقال له خطل، وكان شيخاً كبيراً، قد أتت عليه مائتا وثمانون سنة، فقلنا : يا خطل ؛ هل عندك علم بهذه النجوم التي يُرمى بها، فإنا قد فزعنا منها، وخفنا سوء عاقبتها، فقال: ائتوني بسَحَر أخبركم الخبر، الخير أم ضرر، أم لأمن أو حذر، فأتيناه غداً عند السحر، فإذا هو قائم على قدميه، شاخص إلى السماء بعينيه، فناديناه : يا خطل، فأومأ إلينا : أن أمسكوا، فانقض نجم عظيم من السماء، وصرخ الكاهن رافعاً صوته : أصابه إصابة، خامره عقابه عاجله عذابه أحرقه شهابه، ثم قال: يا معشر قحطان، أخبركم بالحق والبيان، أقسم بالكعبة والأركان، لمنع السمع عتاة الجان، المولود عظيم الشأن، يبعث بالتنزيل والقرآن، وبالهدى وفاصل الفرقان، يمنع من عبادة الأوثان . فقلنا : ما ترى لقومك ؟ فقال : أرى لقومي ما أرى لنفسي، أن يتبعوا خير نبي الإنس، برهانه مثل شعاع الشمس، يبعث من مكة دار الخمس، يحكم بالتنزيل غير اللبس، فقلنا : وممن هو ؟ فقال : والحياة والعيش، إنه لمن قريش، ما في حلمه طيش، ولا في خلقه هيش، يكون في جيش، وأي جيش !! فقلنا : بين لنا من أي قريش هو ؟ فقال : والبيت ذي الدعائم، والديار والحمائم، إنه لمن نجل هاشم من معشر أكارم، يبعث بالملاحم، وقتل كل ظالم، هذا هو البيان، أخبرني به رئيس الجان، ثم قال : الله أكبر، جاء الحق وظهر، وانقطع عن الجن الخبر . «[٣]

صيغة الترجيح:

استعمل ابن عجيبة لفظاً ترجيحياً صريحاً وهو ( الظاهر).

أسلوب الترجيح:

يذكر ابن عجيبة أن هناك اختلاف في رأي الجمهور حول وجود الرجم قبل مبعث النبي محمد ﷺ:

---

(١) محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، أبو جعفر: من حفاظ الحديث. قال ابن ناصر الدين: له مصنفات خطيرة، منها كتابه في (الضعفاء - خ) كبير. وكان مقيما بالحرمين، وتوفي بمكة. الاعلام للزركلي، ج٦,ص٣١٩.

(٢) «الهب بن مالك بن عبيد بن سلمة بن عامر بن سعد بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن بن النجار الأنصاري، ذكره موسى بن عقبة فيمن شهد العقبة.» ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٦، ص ٤٥٠.

(٣) البحر المديد ، ج٨,ص١٥٥.

- يرى الجمهور أن الرجم لم يكن موجوداً قبل مبعث النبي محمد ﷺ.

- يرى بعض العلماء أن الرجم كان موجوداً في الجاهلية، ولكن الشياطين كانت تسترق في بعض الأوقات، فمنعوا من الاسترق أصلاً بعد مبعث النبي محمد ﷺ.

ابن عجيبة يخلص إلى أن الرمي كان موجوداً قبل البعثة، ولكن كان قليلاً، وأشعار الجاهلية محشوة بذلك.

وجه الترجيح:

استدل ابن عجيبة وذكر أبو جعفر العقيلي(١)، بإسناد له إلى لهب بن مالك، قال: حضرت مع رسول الله ﷺ فذكرت عنده الكهانة..... الخ.

أقوال المفسرين:

يتفق ابن عجيبة مع العلماء في أن الرجم كان موجوداً قبل البعثة، ولكن يختلف في توضيح تفاصيل ذلك:

الزمخشري: الرجم كان قبل المبعث، وقد جاء ذكره في شعر أهل الجاهلية. (٢)

ووافقه الرازي بذلك (٣) والنسفي (٤) وابو حيان(٥) والألوسي (٦).

الخلاصة:

وعليه يتبين لي رجحان قول ابن عجيبة ؛لأن «تفسير السلف وفهمهم لنصوص الوحي حجة على من بعدهم « (٧).

المسألة الثانية: المراد في قولة تعالى: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجِن:١٧].

(١) محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي، أبو جعفر: من حفاظ الحديث. قال ابن ناصر الدين: له مصنفات خطيرة، منها كتابه في (الضعفاء - خ) كبير. وكان مقيما بالحرمين، وتوفي بمكة. الاعلام للزركلي، ج٦،ص٣١٩.

(٢) ينظر:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،للزمخشري، ج٤،ص٦٢٥-٦٢٦.

(٣) ينظر:مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، للرازي، ج٣٠،ص٦٦٩.

(٤) ينظر:تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، للنسفي ،ج٣،ص٥٥٠.

(٥) ينظر:البحر المحيط في التفسير، لابو حيان ،ج١٠،ص٢٩٧.

(٦) ينظر:روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الالوسي، ج١٥،ص٩٨.

(٧) التحرير والتنوير، لابن عاشور ، ج١،ص٢٧١.

ترجيح ابن عجيبة:

« ولنفتنهم فيه؛ لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما حولوا منه. وفي الحديث القدسي يقول الله عز وجل : لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد [١]، وهذا كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعرَاف:٩٦].

وقيل: المعنى: وأن لو استقاموا على طريقة الكفر لأسقيناهم ماء غدقاً، (استدراجاً) النفتتهم فيه) فإذا لم يشكروا أهلكناهم، وهذا كقوله تعالى:﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزُّخرُف:٣٣]. والأول أظهر، بدليل قوله : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعرَاف:٩٦]؛ القرآن أو التوحيد أو العبادة.»[٢]

صيغة الترجيح:

استعمل ابن عجيبة لفظاً ترجيحياً صريحاً ( والأول أظهر).

أسلوب الترجيح:

يذكر ابن عجيبة تفسيرين محتملين:

١. التفسير الأول: يرى أن الآية تعني أن الله يختبر عباده في النعمة التي يعطونها، ليرى كيف يشكرونها.

٢. التفسير الثاني: يرى أن الآية تعني أن الله يهدي عباده إلى الكفر إذا استقاموا عليه، ثم يهلكهم إذا لم يشكروا.

وجه الترجيح:

استدل ابن عجيبة في الحديث القدسي اذ يقول الله عز وجل : لو أن عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل، وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعده [٣]، وهذا كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعرَاف:٩٦].

- بدليل قوله : ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾ [الجِن:١٧].

(١) مسند احمد ،قدسي، حديث ٨٧١٠،٨٧٠٩،٨٧٠٧ ،ج ١٤ , ص٣٢٧.

(٢) البحر المديد، ج٨,ص١٥٨.

(٣) مسند احمد ،قدسي، حديث ٨٧١٠،٨٧٠٩،٨٧٠٧ ،ج١٤ , ص٣٢٧.

أقوال المفسرين:

يتفق ابن عجيبة مع الطبري[١] والزمخشري[٢] في أن المعنى هو الاختبار، وذلك مناسبة مع سياق الاية التي تليها.

ويقول الثعلبي[٣]: وأن لو استقاموا على طريقة الكفر والضلالة لأعطيناهم مالا كثيرا ولوسّعنا عليهم لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ عقوبة لهم واستدراجا. [٤]

الخلاصة:

وعليه يظهر لي رجحان ما قالة ابن عجيبة ؛ لأن «القول الذي تؤيده قرائن في السياق على ما خالفه» [٥]، وكذلك «إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك»[٦].

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن،للطبري، ج٢٣,ص٦٦٢ص٦٦٤.

(٢) ينظر:الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، ج٤,ص٤٢٩.

(٣) أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري، توفي سنة سبع وعشرين وأربعمائة بنيسابور، ينظر: غاية النهاية في طبقات القراء ج١,ص١٠٠.

(٤) ينظر:الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، ج١٠,ص٥٣.

(٥) قواعد الترجيح عند المفسرين، للحربي، ج١,ص٢٩٩.

(٦) المصدر نفسة، ج١,ص١٢٥.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنوره اهتدى السالكون، وبكتابه استضاء العالم، وبمناهج أنبيائه وأعلام أمته وصلت معراج اليقين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد رحلة علمية و دراسة تحليلية لترجيحات الإمام ابن عجيبة الحسني في تفسيره البحر المديد من خلال سورة الجن، تبيّن أن هذا المفسّر قد جمع في منهجه بين الدقة العلمية والرؤية الذوقية الصوفية، مع التزامه بالضوابط التفسيرية المعتمدة عند أهل العلم. وقد أظهرت الدراسة أن ابن عجيبة اعتمد على أصول الترجيح اللغوية والشرعية والسياقية في المفاضلة بين الأقوال التفسيرية، مبرزًا بذلك منهجًا متوازنًا بين النقل والعقل، وبين الظاهر والباطن.

كما كشفت الدراسة عن أصالة اختياراته التفسيرية، واتساقها مع مقاصد النص القرآني، واستناده إلى تفسير السلف عند الترجيح، مع توظيف الشواهد النصيّة من القرآن والحديث واللغة. وقد أبان ذلك عن إلمام ابن عجيبة بأدوات التفسير وقواعد الترجيح، مما يعزز حضوره كمفسّر يجمع بين التحقيق العلمي والذوق الصوفي المنضبط.

وتوصّلت الدراسة إلى أن تفسير البحر المديد يُعدُّ نموذجًا مميزًا في مجال التفسير، يستحق مزيدًا من البحث والدراسة، لما يحمله من ثراء معرفي وتنوع منهجي. وإن ما تم التوصل إليه في هذا البحث يمثل محاولة لإبراز جانب من جهود الإمام ابن عجيبة في حقل التفسير،

وفي الختام، فإن هذا جهد الآمة المقلة، فما كان فيه من صواب فبمحض توفيق الله وفضله، وما كان فيه من خطأ أو زلل أو خلل، فمني ومن الشيطان، وأستغفر الله من التقصير والخلل، وأسأله القبول والرضا، إنه ولي التوفيق ومجيب الدعاء.

# المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الإبهاج في شرح المنهاج، تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن حامد بن يحيي السبكي وولده تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م،.

٢. أصول السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، دار المعرفة بيروت.

٣. الأعلام ،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين،ط١ ،١٥،- أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٤. البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين محمد بن عبد الله أبو عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، دار الكتبي، ط ١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٥. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد،أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ) ،عدد الأجزاء / ٨،دار الكتب العلمية،بيروت،ط٢ / ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣ هـ.

٦. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله أبو عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو إبراهيم الفضل دار المعرفة، بيروت، (دط)، ١٣٩١هـ .

٧. التحرير والتنوير عبير بنت عبد الله النعيم، دار التدمرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م.

٨. التعريف ببعض علوم الإسلام الحنيف الشيخ:عبد الله نجيب سالم الكويت . وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.

٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر،دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط ١٤٠٣،١هـ -١٩٨٣م .

١٠. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)،حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ،راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

١١. تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، ط٨، ١٤٣٠هـ.
١٢. التفسير والمفسرون الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت ١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة (دط)، (د.ت).
١٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي.
١٤. جامع البيان عن تأويل أي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر د. عبد السند حسن يمامة دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.
١٥. الجامع لأحكام القرآن,أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١ هـ) , هشام سمير البخاري,دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية,ط: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
١٦. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، بحيدر آباد الدكن – الهند، (ط١، ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢م).
١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود بن عبد الله الآلوسي (ت١٢٧٠هـ)، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥- ١٩٩٤م.
١٨. روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة أبو محمد الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.
١٩. سير أعلام النبلاء,شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت ٧٤٨هـ), دار الحديث- القاهرة,ط: ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م,عدد الأجزاء: ١٨.
٢٠. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية محمد ابن محمد ابن سالم مخلوف، علق عليه:عبد المجيد الخيالي، دار الكتب العلمية لبنان، ط١،(٢٠٠٣م- ١٤٢٤ هـ).
٢١. غاية النهاية في طبقات القراء,شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ), مكتبة ابن تيمية,ط :عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ , عدد الأجزاء: ٣.

٢٢. فصول في أصول التفسير، د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار تقديم: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي (ت١٤٢٣هـ).

٢٣. الفهرسة وهى سيرة الشيخ الذاتية، انتهى من تنقيحها سنة (١٢٢٤ هـ) وإن كان قد بدأ تأليفها قبل ذلك بمدة. رأت نور الطباعة أول مرة باللغة الفرنسية، حيث ترجمها المستشرق الفرنسى المسلم «جان لوى ميشون»، ثم صدرت بمصر باللغة العربية سنة ١٩٩٠ م، بتحقيق د/ عبد الحميد صالح.

٢٤. قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية,حسين بن علي بن حسين الحربي,رسالة ماجستير- كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤١٥ هـ بإشرف الشيخ منا ع القطان,دار القاسم – السعودية,ط٢، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م,عدد الأجزاء: ٢.

٢٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل, أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي,دار إحياء التراث العربي – بيروت,عدد الأجزاء / ٤,عبد الرزاق المهدي.

٢٦. كشف الأسرار لتنوير الأبصار،مصطفى بن محي الدين نجا الشاذلي،ط ١جريدة بيروت عام ١٨٨٢م.

٢٧. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ)، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية،ط ١، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.

٢٨. لتحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»,محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ), الدار التونسية للنشر – تونس,سنة النشر: ١٩٨٤ هـ,عدد الأجزاء : ٣٠ (والجزء رقم ٨ في قسمين).

٢٩. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ): دار صادر – بيروت ط ٣ - ١٤١٤هـ.

٣٠. لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ): دار صادر – بيروت ط ٣ - ١٤١٤هـ.

٣١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت،ط١ - ١٤٢٢ هـ.

٣٢. المحصول، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين أبو عبد الله التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦ هـ)، دراسة وتحقيق الدكتور طه جابر فياض العلواني،

مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨ هـ،١٩٩٧م.

٣٣. المحيط في التفسير،أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)،المحقق: صدقي محمد جميل،الناشر: دار الفكر – بيروت،ط١: ١٤٢٠ هـ.

٣٤. مختصر في قواعد التفسير خالد بن عثمان السبت دار ابن القيم دار ابن عفان، ط١، ١٤٢٦هـ.٢٠٠٥.

٣٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ (ت٧٧٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م هـ.

٣٦. معجم البلدان شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)،دار صادر، بيروت ط٢، ١٩٩٥ م.

٣٧. معجم البلدان ياقوت الحموي، أبو عبد الله، ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت ٦٢٦هـ)، دار الفكر.

٣٨. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر,عادل نويهض, قدم له: مُفتي الجمهورية اللبنانية الشَّيْخ حسن خالد،مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت – لبنان،ط٣، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٩. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٤٠. مفاتيح الغيب ,فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي,الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م,ط١,عدد الأجزاء / ٣٢.

٤١. مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، طه ١٤٩٠ هـ ١٩٨٠م.

٤٢. الموسوعة الصوفية، أعلام التصوف والمنكرين عليه والطرق الصوفية، عبد المنعم الحفني، دار الرشاد، ط١، (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م).

٤٣. النكت والعيون علي بن محمد بن محمد بن حبيب أبو الحسن البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠ هـ)، تحقيق: السيد عبد المقصود بن عبد الرحيم دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.